مفهوم المقدَّس والمدنَّس واقسامهما في القرآن الكريم (دراسة لغويّة)

the concept of the sacred and the unsacred (sacrilege) and their parts in the Holy Qur'an

Laguage Study

الباحث – ثائر حاتم علي أ.د – علي حسن عبد الحسين الدّلفيّ

جامعة واسط . كلية التربية . قسم اللُّغة العربيَّة .

الكلمات المفتاحية : مفهوم المقدس ، مفهوم المدنس ، اقسام المقدس ، أقسام المدنس.

ملخّص البحث:

عرضت لمفهوم المقدس والمدنس وأقسامهما في القرآن الكريم معتمد في ذلك على بعض كتب الأديان الحديثة، ومن خلال ذلك ثبت أن ليس كلّ شيء دنيويّ مدنّس كما ذهب بعض الباحثين الغربيين، بل ممكن أنْ يكون المدنّس الدُّنيويّ مقدسًا وهذا ما ذهبت إليه الديانة الأسلامية، والأشياء المقدّسة تكتسب قداستها من ارتباطها أو صلتها بمصدر القداسة ، وأنّ درجة قداستها يمكن أنْ تُحدد بمدى القرب أو البعد من المصدر القُدسيّ. ويبدو لي أن أقسام المقدس والمدنس في القرآن الكريم تكمن في الذوات والزمان والمكان وبعض الألفاظ المقاربة من لفظ المقدس والمدنس في القرآن الكريم.

Abstract

I have presented the concept of the sacred and the unsacred (sacrilege) and their parts in the Holy Qur'an based on some books of modern religions.

Through this study, it has been proven that not everything secular is

u١nsacred
as some Western researchers explained, on the contrary, it is possible for secular unsacred to be sacred, and this is what the Islamic religion has the gone to.
The sacred things acquire their sanctity from their connection or relation the source of holiness, and the degree of their holiness can be with the extent of proximity or distance to the holy source determined by

المقدمة

يظهر المقدَّس في الأديان القديمة دائمًا كحقيقة من نظام مختلف عن الحقائق الطّبيعيّة، والحقيقة لا تنتمي إلى عالمنا الطّبيعيّ والدّنيويّ[٢]، وهذا ما أكّده (بول تيلش)؛ إذ قال: "إنّ مفهوم المقدَّس كلُّ ما هو بمنأى عن العالمِ الاعتياديّ للأشياء والتَّجارب وهو منفصل عن عالمِ العلاقات المتناهية، ولهذا فُصلت جميع العبادات الدّينيّة والفعاليات المقدَّسة عن جميع الأماكن والفعاليات الأخرى، وكان دخول الحرم يعني مُواجهة المقدَّس وهنا يجعل النّائي نأيًا لا متناهيًا من نفسه قريبًا وحاضرًا، دون أنْ يفقد ثنائيه؛ لهذا السّبب أُطلق على المقدَّس (الآخر تمامًا)، وهو تحديد ما سوى المساق الاعتياديّ للأشياء.

وإنَّ تحديد ما هو مقدّس وما هو مدنَّس يكمن باعتقاد الإنسان، وكذلك بالدِّين الَّذي يؤمن بهِ، وعلى ضوء ذلك يمكن أنْ نُحدّد ما هو مقدَّس ومدنَّس بعاملين، **الأوّل** : قوة غيبيّة إلهيّة ، **والثّاني** : الثّقافة .

أولا : مفهوم المقدَّس وأقسامه في القرآن الكريم :

- **مفهوم المقدَّس في القرآن الكريم :** إنَّ المفاهيمَ الممنوحة لمادة " ق، د، س " ، ومشتقاتها الصّرفية في المعجمات اللُّغويَّة العربيَّة ، والقواميس الفقهيَّة تُشير إلى مجموعة منَ الدَّلالات ، منها :

١

(٢) ينظر : المقدس والمدنس : ١٦– ١٤ ، ودين الإنسان : ٢٧–٢٨ .

(التَّطهير، و التَّعظيم ، والتَّنزيه ، والاحترام ، والمحرم ، والتّفضيل ، والإكرام ، والتّبجيل ، والتَّزكية) ، وسأتناول منها في الصَّفحات القابلة[١].

إنّ تعدّد الدّلالات ، والألفاظ ، والجهات الَّتي تُحيل إليها لفظة "مقدَّس" أو جذر " قدَسَ" بشكل عام يبرز أنَّ المقدَّس في (القرآن الكريم) والدِّين الإسلاميّ ليس مفارقًا مثلما هو عند علماء الأديان القديمة، بلْ هو مُتراتب وحاضر في الزَّمانِ والمكانِ والذَّوات ، وترتيباته العموديّة لا تجعلهُ متعارضًا أو متناقضًا مع الدُّنيويّ ، بل إنَّ الدُّنيويّ يحتل موقعًا داخل الفضاء المتراتب للمقدَّس[٢].

فالطّبيعة في التصور الإسلاميّ طاهرة أصلًا ، وهي مكانٌ صالحٌ لإقامةِ الصلاةِ ما لم يدخلْ عليها ما يدنّسها سواء من فعل الإنسان أم الحيوان أم الشَّيطان ، فإنَّها مدنَّسة بالعرض لا بالجوهر ، ولا يأتي الحرام في القرآن الكريم مرادفًا للمقدّس بل إنّهُ بعدٌ من أبعادهِ ، فيمكن لنا القول: إنَّ لفظة الحرام مؤطّرة في دلالتها بلفظة المقدّس لذى اطلق على الكعبة المقدسة ببيت الله الحرام[٣].

ويَبدو جلّيًا أنَّ المقدَّس في الإسلام حاضر في الذّوات ، والزّمان ، والمكان ، لكنَّه حضور مختلف ومستقل عن قداسة الله المطلقة ؛ لذا يمكن القول: إنَّ المقدَّسات في الإسلام حازت هذه المكانة من خلالِ الروح ؛ فالمقدّسات الإسلامية كالرّسل ، والأنبياء ، والأوّلياء (عليهم السلام) الّذين اصطفاهم الله عزَّ وجلّ على غيرهم ؛ لوصولهم إلى أعلى مرتبة للرّوح المقدّسة ؛ لأنَّهُم استطاعوا أن يصونوا ويحرسوا الرّوح في صفائها السّماويّ ويتصلوا بقوّتها المقدّسة ، ومن الجديرِ بالذّكر أنَّ الرّسولَ الكريم محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو الأعلى في هذه المرتبة الرّوحية لاتصالهِ بالوحيّ والتّبليغ عن الله عزَّ وجلّ[٤].

---

(١) ينظر: معجم العين : ٥/ ٧٣ ، وجمهرة اللغة (قدس): ٢/ ٦٤٦ ، و تهذيب اللّغة (قدس) : ٨/ ٣٠٣ ، و مقاييس اللّغة (قدس) : ٥/ ٦٣ ، و لسان العرب (قدس) : ٦/ ١٦٨ ، والقاموس الفقهي : ١/ ٢٩٦

(٢) ينظر : المقدس الإسلامي : ٢٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٩

(٤) ينظر : المفهوم الوجودي للمقدّس والمدنَّس في الإسلام : ٦ .

انماز المقدَّس في القرآن الكريم والثّقافة الإسلاميّة بتعدديته الدّلالية من جهة ، وإحالته المختلفة على جهات متعدّدة[١]، ومن أمثلة هذه الدّلالات _على سبيل التّمثيل لا الحصر_ أنّه قد يُطلق على الله تَعالى في صيغة (قدّوس ومقدّس) ، نحو قوله تعالى : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[٢]، أي تنزيهًا لله وتبرئة لهُ من شرك المشركين بهِ ؛ فهو الطّاهر من كلِّ ما يضيف إليه المشركون به ، ويصفونهُ بهِ ممّا ليس من صفاته ، وهو المبارك ، وتقدّسه الملائكة من كلِّ العيوب والنّقائض ؛ لكماله في ذاتهِ وصفاته وأفعالهُ، والبّليغ في النّزاهة عمّا يليق به[٣].

ونلحظ على بعض علماء الأديان القديمة للوهلة الأولى _في ماهية مفهوم المقدَّس والمدنَّس_ خلطاً بين المفاهيم ، ومن أمثلة ذلك : أنَّ القذارة تتحوّل بذاتها إلى طهارة بحسب وهذا ما ذهب إليه (روجيه كايو)[٤] ، ولكنّ الفكر الإسلاميّ ذهب إلى أنّ الكائن المدنَّس هو الذّي ينتقل على التّوالي من أطوار النَّاسة إلى أطوار القداسة ، فمن المعروف أنَّ القرآن الكريم يحرّم على أتباعه شرب الخمرة ، ومن الواضح أنَّ عصيرَ العنب ليس هو سبب الدَّناسة ؛ إذ هو ناجمٌ عن تقلّب الأحوال "التّخمير" ، ومن شأن أي تغيير جديد أنْ يحطمها ، مثل تحويل النّبيذ إلى خلّ، وكذلك في حالة الجثة المتحولة روحًا طاهرة ، فالإنسان الحيّ ليس من أصل مدنَّس ، فهو في الحالة الطّبيعية دنيويّ لا غير ، والموت يُدْخل تحوُّلًا يتسبب بالرّجس، فعند تحرّر الجثة من حاملها الجسديّ فيجري تُحطَمُ الدّناسة[٥].

أمّا الألفاظ والدّلالات ذات الصلة بمفهوم المقدَّس فكثيرة في القرآن الكريم ، منها (التَّطهير) ، و " الطهارة ضربان جسمانية : مثل الطُّهر من النجاسة[٦] ، كقوله تعالى : (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ)[١]، بِهِ)[١]، ونفسانية ، أي نزهه عن الإثم والدَّنس،[٢] ومنه قوله تعالى: (وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[٣].

---

(١) ينظر : المقدّس الإسلاميّ : ٢٨ .

(٢) الحشر: ٢٣ .

(٣) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٣/ ٣٥٠ –٣٧١ ، وتفسير القرآن العظيم : ٨/ ١٠٨، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ١٨/٧ .

(٤) ينظر : الإنسان والمقدس : ٦٦

(٥) ينظر : بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٢٩ .

(٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ٧ / ٤١٧٢

أقسام المقدَّس في القرآن الكريم : تنقسمُ القداسةُ في القرآن الكريم على قسمين : قداسة لذاتها، وقداسة لغيرها ، وللفرق بين القداستين ، يمكن أنْ نقول: إنَّ القداسة المطلقة هي نفسها القداسة لذاتها ، وهي قداسة مختصَّة باللهِ سبحانهُ وتَعَالى (الذّات الإلهية) ، و لا يختصّ بها سواهُ ، وهي مطلقةٌ ؛ إذ أنّها مُنافية لنسبية غيرها[٤] كما هو الحال في الأديان السَّماويّة الأخرى[٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٦]. فدلَّت صيغة (الْقُدُّوسُ) على اللهِ (سبحانهُ وتَعَالى) ؛ لتعني الطَّهارة والتَّنزيه المطلق[٧]، بمعنى تنزيه الله تعالى وتبرئته من شرك المشركين بهِ ؛ فهو المعبود الَّذي لا تصلح العبادة إلّا لهُ ، الملك الَّذي لا ملك فوقه[٨].

أمّا (القداسة لغيرها) فهي القداسة النّسبيّة ؛ نسبةً إلى القداسة المطلقة[٩].

وهذا يعني أنَّ الأشياء المقدَّسة تكتسب قداستها من ارتباطها أو صلتها بمصدر القداسة ، و أنَّ درجة قداستها يمكن أن تحدّد بمدى القرب أو البعد من المصدر القدسيّ ، أي: إنَّ هناك مقدسات اكتسبت قداستها من صلتها بالمقدّس المطلق الكليّ وليس من ذاتها[١٠]؛ فقدسية بيت الله الحرام والمسجد الاقصى والمسجد النّبويّ وقبور الأنبياء والأوصياء هي قدسية مكتسبة من الله سبحانه وتعالى ، وكما يقول البروفسور (جب) : "عقلن الإسلام القدسيّ وجعل الله مصدره الأوحد ، وصارت القداسة وفقًا للسماء "[١١].

---

(١) الأنفال : ١١ .

(٢) المصدر السابق : ٧/ ٤١٧٢

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣ .

(٤) ينظر : المفهوم الوجوديّ للمقدّس والمدنّس في الإسلام : ١٢٣ .

(٥) ينظر ما وراء تأسيس الأصول : ٢٣ – ٢٤ .

(٦) الحشر: ٢٣ .

(٧) ينظر : المقدّس الإسلاميّ : ٢٩ .

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٣/ ٣٠٢ .

(٩) ينظر : المفهوم الوجوديّ للمقدَّس والمدنّس في الإسلام : ١٢٣ .

(١٠) ينظر : البحث عن التاريخ والمعنى في الدّين : ٣٥٢ .

(١١) بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٣٩ .

ويمكن القول: إنَّ قداسة الأشياء هي قداسة اعتباريّة (مجازيّة) ؛ لأنَّ مفهوم المقدَّس ينصرف إلى موجود بعينه ، متعالٍ ، ومفارق ، وتكون قداسته من نفسه ، ثُمَّ ينزل إلى ما يصدر عنه "[١].

ويتّضح ممّا سبق أنَّ القداسة المطلقة تختص بالخالق (سُبحانهُ وتَعالى) ، وهي قداسة لذاتها ، أمّا القداسة النّسبية أو الاعتباريّة فتختصّ بالأشياءِ ، ويمكن تحديد نسبة قداستها بالقربِ والبعد من مصدر القداسة المطلقة (الذّات الإلهيّة) .

وحتّى تتّضح الصوَّر بشكل جليّ يمكن أنْ نُشير بإيجاز إلى أهمّ المقدَّسات الّتي نصَّ عليها الدّين الإسلاميّ و(القرآن الكريم) ، وخير ما نبدأ به قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢]، فـ(الخشوع) : التذلل ، و الخضوع ، والتّضرع لله تعالى[٣]، قال جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ): " لو أنزلت هذا القرآن على جبل فأمرته بالّذي أمرتكم وخوَّفته بالّذي خوَّفتكم به إذًا يخشع ويصدع من خشية الله فأنتم أحق أن تخشوا وتذلوا وتلين قلوبكم لذكر الله "[٤].

وممّا لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم هو التّجلّي الأعظم للقدسيّ (الذّات الإلهية) ، فهو كلام الله (سبحانه وتعالى) المقدَّس على الأرض[٥]، قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[٦]. فهذه الآية المباركة هي دلالة من الدّلالات الّتي تؤكّد عظمة وقداسة (القرآن الكريم) ، فلو اجتمع الجنّ والإنس وتعاونوا على أنْ يأتوا بمثلهِ لم يأْتُوا[٧]، وتحدّاهم بمعنى التَّوبيخ في الآية القرآنية المباركة ،

---

(١) ما وراء تأسيس الأصول : ٢٣ .

(٢) الحشر: ٢١ .

(٣) ينظر : لسان العرب : ٧١/٨، و المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير : ٢/ ٦٦٢ ، وتاج العروس : ٢٠/ ٥٠٦ .

(٤) الدّر المنثور : ٨/ ١٢١ .

(٥) ينظر: بُنى المقدَّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٣٨ .

(٦) الإسراء : ٨٨ .

(٧) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١/ ٣٧٨ .

فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]. يعني بذلك: إن كنتم في ريب فيما جاءكم به محمَّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من عندي فأتوا بسورة[٢].

فالقرآن الكريم هو كلام الله المقدَّس على أرضهِ ، ومنه نفهم أنواع المقدَّسات الَّتي وردت فيهِ ، فالملائكةِ (عليهم السّلام) وأصلهُ: ملأك بالهمز وهو مأخوذ من الألوك و من المألَكة أو المأُلكة و هي الرسالة[٣]، وهي من المقدسات ، فهي رسلُ و جنود السَّماء المكلَّفون بتمجيد الله تعالى ، ومنهم جبرائيل (عليه السّلام) المكلف بالرّسالة الكبرى ، رسالة نقل الوحي إلى سيد المرسلين محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٤]؛ إذ ورد ذكرهُ في القرآن الكريم في أكثر من آية ، منها قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[٥]. كما وردَ بصيغة (روح القُدس) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٦]. فـــ (بِرُوحِ الْقُدُسِ) في الآية الكريمة سُمِّي به جبريل (عليه السّلام)، وهو ما أشارت بهِ المجموعة من التّفاسير[٧]؛ فقد أضيف إلى القدس وهو الطّاهر[٨].

---

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١/ ٣٧٨ .

(٣) إصلاح المنطق :١/ ٥٩ .

(٤) ينظر : بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٦٠ .

(٥) البقرة : ٩٧،٩٨ ، والتَّحريم : ٤ .

(٦) البقرة : ٨٧ ، ٢٥٣ ، والمائدة :١١٠، والنَّحل : ١٠٢ .

(٧) مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٣٦٩ ، ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٢/ ٣٢٠ ، ومعاني القرآن وأعرابه : ١/ ١٦٨، والهداية إلى بلوغ النّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره : ١/ ٣٤٢ .

(٨) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل : ٢/ ٦٣٤ .

أمّا الأنبياء والرّسل والأولياء فقد استطاعوا أنَّ يجمعوا بين الطهارة الذّاتيَّة والعرضية مثلما قد يطلق على الملائكة في صيغة روح القدس ، فهم مقدّسون مطهَّرون[١]؛ إذ "اصطفاهم الله على غيرهم لوصولهم إلى أعلى المراتب الروحيَّة ، فاستطاعوا أنْ يحفظوا الرّوح في صفائها السَّماويّ ويتصلوا بقوتها المقدّسة ، ويُعدُّ خاتم الرُّسل نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الأعلى في هذه المرتبة الرّوحية ، تلك المرتبة الّتي منحتهم الاتصال بالوحي ، والتّبليغ عن الله (سبحانه وتعالى)[٢]. وأنّ هذه النَّعمة الإلهيّة العظمى الَّتي حَظي بها نبيَّنا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم تنتهِ أبدًا بوفاتهِ، فبقاياه تعكس القداسة ، وقد انتقلت بركته إلى أهل بيته الأطهار[٣]، الأطهار[٣]، وهذا ما يُفهم من قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٤]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّ المراد بأهل البيت في الآية الكريمة هم (النَّبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) و عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسين) (عليهم السَّلام) ؛ فقد وردَ عن أم سلمة "أنّ النَّبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كان عندهُ (علي وفاطمة والحسن والحسين) ، فتجلّل هو وهم في الكساء وقال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذْهِبْ عَنْهُم الرَّجس وطهرهم تطهِّيرا. ولم يرد بالتّطهير في الآية المباركة نجاسة الثّوب والبدن ، وأنَّما أراد تطهير النّفس الَّتي تستحق المدح والخلود ، أمّا الرّجس فورد بمعنى نجاسات الجاهليّة وشركها ، وقيل: الشَّك أو الطّمع أو البخل أو السّوء"[٥].

أمّا قداسة المكان والزّمان في القرآن الكريم فيمكن القول: إنَّ المكان المقدّس: هو المجال الأرضيّ الّذي يكون معزولاً عن العالم المدنَّس ، يحظر على الإنسان دخولهُ عموماً ؛ لأنَّ روحاً

---

(١) ينظر : المقدّس الإسلامي : ٢٩ ، والمقدّس والمجتمع : ٥٢ .

(٢) ينظر : المفهوم الوجودي للمقدّس والمدنّس : ١٢٥ .

(٣) ينظر : بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن : ٢/ ٢٦٢ ، وينظر: الكشاف والبيان في تفسير القرآن : ٨/ ٣٥ ، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٢/ ٤٧٠ ، وتفسير الرّاغب الاصفهاني : ١/ ١٢٧ ، ومعالم التّنزيل في تفسير القرآن : ٦/ ٣٤٩ .

خفيَّة تجلَّت فيه واتخذته مسكناً لها ، ولا يمكن أنْ يعد كل مكان وزمان مقدس ؛ فالمكان والزَّمان ليس لهما دائمًا قيمة واحدة في كلِّ مكان وآن ، فهناك أماكن مميَّزة ، بمعنى أنّها بحكم انتمائها إلى الألوهيّة ، يكون التواصل بينها وبين الغيب حميمًا وكثيفًا جدًا ، ومن قداسة الأماكن قوله تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾[١]، فالكعبة بيت الله الحرام ، وهي بيت حرام حرمُها مقدَّس بامتياز[٢]، ومعنى الآية الكريمة: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكّة ، وليعبدوا رب هذا البّيت ، يعني: الكعبة[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]. فـــ(بكّة) بمعنى موضع البيت ، و(مكّة) ما حولها ، وقيل في مكة المكرمة أيضًا: (البيت العتيق) الَّذي عُتق من الغرق أيام الطّوفان[٥]، و من الآيات الَّتي وردَ فيها لفظ (البيت) للدّلالة على مكّة المكرمة قوله تَعّالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٦]. جاءَ في التّأويل: " والصَّوابُ منَ القَوْلِ في ذلِكَ عندنَا أَنْ يُقَالَ: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذكرُهُ أَخْبرَ عنْ إبْراهيمَ خليلِهِ أَنَّهُ وَابنُهُ إسماعيلُ رفعَا القَواعدَ منَ البَيتِ الحَرَامِ. وجائزٌ أَنْ يكُونَ ذلِكَ قوَاعِدَ بيْتٍ كانَ أَهبطَهُ معَ آدمَ، فجعَلَهُ مكَانَ البيتِ الحرَامِ الَّذي بِمكَّةَ"[٧].

فبيت الله الحرام (مكّة المكرمة) هو أحد أهمّ الأماكن المقدّسة الّتي وردَ ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من آية قرآنية .

---

(١) قريش :٣ ، والبقرة : ١٥٨ .

(٢) بُنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٢٧

(٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٤/ ٦٢٣ ، ومعالم التّنزيل في تفسير القرآن : ٥/ ٣١١ .

(٤) آل عمران : ٩٦ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٦/ ٢٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣/ ٤٢٤ .

(٦) الحج ٢٦ .

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن : ٢/ ٥٥٥ .

ومن الأماكن المقدسة في القرآن الكريم أيضًا : (الوادي المقدس ، والأرض المقدسة ، و بيت المقدس ، والمسجد الأقصى ، وجميع مساجد العبادة) ؛ ليدل كلّ منهما على حضيرة المقدَّس[١]، وقد وردَ ذلك في الآيات القرآنية المباركة ، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾[٢]. وجاء في التّأويل: إنَّ موسى (عليه السلام) أُمر بخلع النَّعلين لينال بركة الوادي المقدَّس وتمسَّ قدماه تربة الواديّ ، وهو المبارك المُطهّر ، ومنهم من يقول: إنَّ الوادي المقدَّس هي القرية الواقعة بين المدينة ومِصْر [٣]، ويقال: إنّه بحر معرفة الله (عزَّ وجل) ، ومن هذا يُؤخذ تعظيم المساجد في الإسلام بخلع النّعل عند دخولها ، وإن كانت طاهرة[٤]. ومن ومن الأماكن المقدَّسة في القرآن الكريم (الأرض المقدَّسة) في قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾[٥]؛ وهي الأرض الَّتي نزل بها موسى (عليه السَّلام) بأمر الله (عزَّ وجل) ، وهي أرض ليس فيها خَمْرٌ ولا ظِلٌّ ، ودعا موسى (عليه السلام) ربَّهُ حين آذاهُمُ الحَرُّ ، فظلَّل عليْهم بالغَمَام ؛ فأنْزلَ اللّهُ لهمُ المَنَّ والسَّلوى[٦]، وقيل: الأرض المقدَّسة هي مِصْرُ الَّتي كان فيها فِرْعوْنُ[٧].

أمّا (المسجد) وهو موضع يسجد فيه المرء أمام الألوهيَّة ، فالمكان الصغير الَّذي يحيط بالمصلّى المحدّد بسجادة أو بمعطف ، يؤدي فوقهما صلاته ، وبهذه الصّفة يكون مقدسًا محرمًا بدوام الصَّلاة[٨]، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً**﴾[١].

---

(١) ينظر : المقدّس الإسلامي : ٢٩ ، والمقدَّس والمجتمع : ٥٢ .

(٢) طه : ١٢ ، النّازعات : ١٦ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب : ٣١/ ٣٨

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ١٧٣ ، و البحر المحيط في التَّفسير : ٧ / ٣١٦ ، واللُّباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ١٢٥ ، و البحر المديد في تفسير القرآن : ٣/ ٣٧٧ .

(٥) المائدة :٢١ .

(٦) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١/ ١٠١

(٧) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١ / ٧٠٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١/ ١٣٨ .

(٨) ينظر : بنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٥٨ .

وأمَّا (مراقد الأئمَّة الأطهار) الَّذين خصَّهم الله (عزَّ وجلّ) بالآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ؛[٢] فلا شكَّ في أنَّها مراقدٌ مقدسةٌ ، نحو مراقد الأئمة والأولياء الصالحين ، فوجود رفاة مقدَّسة كافٍ لجعل أيِّ مكان موضعًا مقدَّسًا[٣].

أمّا الزَّمن القدسيّ في القرآن الكريم ؛ فنجد أنَّ التَّصور الإسلاميّ جاء متقاربًا إلى حدٍ كبير لتصور العرب القدامى من قبل ؛ فالقرآن الحكيم يؤكد الطَّابع القدسيّ للأشهر الحُرم الَّتي يُحرم القتال فيها ، كما أنَّهُ يأمُرُ باحترامها وتكريمها ، أي: اعتبارها فترة هدنة وسلام[٤]؛ فالمقدَّس يطلق على الأشهر الحرام ، ليعني الحظر والاحترام والمنع النَّاتج عن حرمة الأوامر الإلهيّة[٥]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٦].

فقد كان العرب ، ومن قبل مجيء القرآن الكريم يعظّمون الأشهر الحُرم الأربعة ، ويحرّمونهنّ ، ويحرمون القتال فيهنّ ، حتى لو لقي الرَّجل قاتل أبيه لم يهْجُه ؛ لقدسية تلك الأشهر من قبل وبعد مجيء الإسلام عند العرب[٧].

ومن الأزمنة المقدَّسة أيضا : شهر رمضان ، وليلة القدر، ويوم الجمعة [٨]، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

---

(١) الجن : ١٨ ، والبقرة : ١١٨ ، ١٧٨ ، والتوبة :١٧،١٨ ، والحج : ٤٠ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) ينظر : بُنى المقدَّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٥٩ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٦١ .

(٥) ينظر : المقدّس الإسلامي : ٢٩ ، والمقدّس, والمجتمع: ٥٢ .

(٦) التّوبة : ٣٦، والبقرة : ١٩٤ ، ٢١٧ ، والمائدة : ٢ ، ٩٧ .

(٧) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١٤/ ٢٣٤ ، و معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ٤٤٥ ، و الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل : ٢/ ٢٦٩ .

(٨) ينظر : بُنى المقدَّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٦٠-١٦١ .

الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]. و"الشّهر أصله الشّهرة ، يُقال قد شهر فلانٌ سيفهُ، إذا أخرجه من غمده يشهرهُ شهرًا ، وشهر الشّهر إذا طلعَ هلالهُ ، وأشهرنا نحن إذا دخلنا في الشَّهر ، أمّا رَمَضان فسُميَّ بذلك لشدة الحرّ الَّذي فيه حتّى تَرْمَضَ فيه الخصال ، كما يُقال للشهر الَّذي يُحجّ فيه ذو الحجة "[٢]وأمّا ليلة (القدر) ، فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]. شَهْرٍ﴾[٣]. فهي ليلةٌ مباركةٌ مقدَّسةٌ ، وسُمّيت ليلة القدر بهذا الاسم ؛ لأنّ قَدرها و شَرفها عند الله الله عظيم[٤].

وكذلك الحال مع يوم الجمعة ؛ إذ وردَ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥]. يرى علماء التَّفسير أنّهُ إذا جاءَ منادٍ ينادي بالدُّعاء إلى يوم الجمعة ، فامضوا إلى ذكر الله واعملوا لهُ، وأصل الموضع هو العمل[٦]؛ فالاتصال مع الغيب يمكنهُ أنْ يكون عندما يجري في اللّحظات الاحتفائيّة بالفعل الإلهيّ، المتصل بالوجود البَشريّ ، وقد لا يخلو هذا الاعتقاد من تأثير في اختيارِ المواقيت ، أي: الأوقات الّتي تقام فيها الصّلوات الخمس الشَّرعية اليوميّة ، والخاصيّة منها مناطة بيوم الجمعة ، يوم الصَّلاة الجامعة ، الَّذي يكرمه المسلمون ويعتبرونه أفضل أيام الأسبوع[٧].

---

(١) البقرة : ١٨٥ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن : ٣/ ٤٤٤ .

(٣) القدر : ١ ،٢ ،٣ .

(٤) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٣/ ٤٤٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٥/ ٣٤٧ ، والكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل: ٤/ ٧٨٠ ، ومفاتيح الغيب : ٢٧/ ٦٥٢ .

(٥) الجمعة : ٩ .

(٦) ينظر : جامع البَيان في تأويل القرآن : ٢٣/ ٣٨٠ .

(٧) ينظر : بنى المقدَّس والمدنَّس قبل الاسلام وبعده : ١٦٣ .

ويمكن الاستنتاج ممّا سبق أنَّ قدسيّة المكان والزَّمان في الدَّين الإسلاميّ على علاقة بالتَّجلّي المباشر نسبيًا لقوَّةٍ مقدَّسةٍ .

ثانيا: مفهوم المدنَّس وأقسامه في القرآن الكريم :

فهوم المدنَّس في القرآن الكريم: إنَّ المقدَّس في الإسلام والقرآن الكريم يمثّل الوجود أو النّظام ؛ لعلاقته الوثيقة بالدّين السّماويّ ، ويمكن القول _بعبارة علميّة_: إنَّ المقدَّس هو الطّبيعة الحيوية الكاملة التي تحدث في الكائن حين تصوّر بوجود خلّل في هذه الطَّبيعة ؛ إذ يبدأ الكائن الحي في التّحلّل والتّحوّل فينجم عنهُ صفة (المدنَّس)، و(النَّجس) ، وهما في هذا يعكسان التّغير في طبيعة الكائن الحي ، أو الأشياء عند زوال أثر الرّوح من الكائن الحي ، فحين نلحظ في الفقه الإسلاميّ أنَّ تحول العنب إلى خمر يصبح محرَّما (مدنَّسًا) ، وتحوُّل الماء والطّعام في جسم الإنسان إلى بول وبراز يجعلها من النّجاسات[١]، و المدنَّس في عمومهِ ما يقابل الخبيث ، وأعلى درجات الخبث هي النّجاسة ، وأعلى درجات النَّجاسة هي النَّجاسة الرّوحية الَّتي قد تطلق على الكافر ، أو الأشياء المحرمة كلياً[٢].

وممّا سبق يمكن القول: إنَّ الإشراك بالله هو حالة من التَّحول من الفطرة إلى العقيدة المُنحرفة ، نحو ما وردَ في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٣]. إذ إنَّ المدنَّسَ في الإسلام النّظام ،أي : إزالة الطّهارة ، وهي صفة ملازمة للمقدَّس المانحة للحياة ؛ لذا فالمدنّس هو المحرَّم بمعنى (المحظور)، وفي قبال المحرَّم معنى (المعظَّم)[٤]. (المعظَّم)[٤].

---

(١) ينظر : بنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٢٩ ، و المفهوم الوجودي للمقدّس والمدنّس : ١٢٤.

(٢) ينظر : المقدّس الاسلامي : ٢٩ ، و المقدَّس والمجتمع : ٥٣ .

(٣) التّوبة : ٢٨ .

(٤) ينظر : المفهوم الوجوديّ للمقدّس والمدنّس : ١٢٥ .

ومن الواضح أنَّ (النَّجس) مُستبعد عن مجال القرآن الكريم، ففي الأغلب يجري في القرآن وضع (الطّاهر النّقي) في مواجهةِ المدنَّس[١]، نحو قوله تَعَالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]؛ إذ ينتسب الطَّاهر إلى السَّماء ويُداني القداسة ، أمَّا (النّجس) فيكون على صِلة بالشّيطان ، ويتبيَّن لنا أنَّ المقدَّس الطّاهر (النَّبي محمّد صلّى الله عليه واله وسلّم ، وفاطمة ، وعليّ ، والحسن ، والحسين ، والأئمَّة من بعدهم) عليهم أفضل الصلاة والسّلام [٣] ، فالطّاهر ينتسب إلى السّماء ويداني القداسة ، وبالمقابل يكون الرّجس أو النّجس على صلة بالشّيطان[٤].

- **قسام المدنَّس في القرآن الكريم :**

يمكن أنْ نُقسّم المدنَّس بالنَّسبة للمخاطب في القرآن الكريم على دناسة مُطلقة (لازمة) ، و(دناسة حسيّة ذاتيَّة) ، و(دناسة معنويَّة).

ويُقصد بالدَّناسة المطلقة الَّتي تتمثل بإبليس (عليه اللّعنة) ، وهُو في اللّغةِ من "بلسَ المُبْلس : الكئيب الحزين المُتَنَدِّم ، وسُمّي إبليس من الخَيْر، أي أُيسَ ، وقيل: لُعنَ ، والمُبلِس البائِسُ"[٥]. أي: يئس من رحمةِ الله سُبحانه وتَعَالى[٦]؛ فهو اسمٌ علمٌ خاصٌ للشّيطان الَّذي وسوسَ لنبيّ الله آدم (عليه السَّلام) ، وامتنع عن السّجود له ، وأقسم على إغواء أبنائه[٧]، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ

---

(١) ينظر : بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٣٥ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٠/ ٢٦٧ .

(٤) ينظر : بُنى المقدّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ٣٥- ٣٦ .

(٥) العين : ٧/ ٢٦٢ .

(٦) ينظر : جمهرة اللغة : ١/ ٣٤٠ ، ومعجم ديوان الأدب : ٢/ ٣٠٢ ، وتهذيب اللّغة : ١٢/ ٣٠٦ .

(٧) ينظر : تفسير الأمثل : ١/ ٣٩٤ .

بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]. أي: لأُضلّنَّ بني آدم أَجْمعين (إلا عبادك منْهُمُ المُخلصين) ، فلم تجعلْ لي عليهم سبيلاً ، وهو إقرار بأَنَّهُ لا يمكنُهُ إغواء المخلصين[٢].

أمَّا القسم الثّاني (الدناسة الذَّاتيّة الحسية) أي: (نجس العَيْنِ) ، وهو ما كان شديد القذارة كالبول، والغائط ، والخمر[٣].

وأمّا القسم الثّالث من الدَّناسة ، وهي الدَّناسة المعنويَّة؛ فلها تطبيقات كثيرة في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[٤]. فقد أُنيط وصف النَّجاسة بهم بصفة الإشراك ، فَعَلِمْنا أنَّها دناسة أو نجاسة معنويَّة ؛ لما امتلأت قلوبهم بالشَّرك، وهذا ما يتنافر مع قداسة المسجد الحرام ، فوجودها يخل بالتَّعظيم ، ويمكن إزالة هذه الدَّناسة بالتَّطهّر و التَّوبة والتَّعبّد[٥]؛ فالطَّاهر ينتسب إلى السَّماء ويُداني القداسة ، ويكون النَّجس على صلة بالشَّيطان ، وخاصة إذا كان النَّجس أو الرّجس مخالفة شرعيَّة أو أخلاقيَّة ؛ فالكفر بالله (سبحانه وتعالى) دناسة معنويَّة أيضا[٦]، وهو نقيض الإيمان والشُّكر[٧]، قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٨]. بمعنى: من يتطهَّر من دنس الكفر بالتَّوبة بالتَّوبة إلى الله ، فإنَّما يتطهَّر لنفسه[٩].

---

(١) الحجر : ٣٩ .

(٢) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٠ / ١٤٧ ، والهداية إلى بلوغ النَّهاية : ١٠/ ٦٢٨٩ ، ومفاتيح الغيب : ١٨/ ٤٤١، والبحر المحيط : ٩/ ١٤ .

(٣) ينظر : تفسير المنار : ٤٩/٧ .

(٤) التَّوبة : ٢٨ .

(٥) ينظر : التَّحرير والتَّنوير : ١٠ / ١٥٩، وزهرة التَّفاسير : ٦ / ٣٢٧٢ .

(٦) ينظر : بُنى المقدَّس عند العرب قبل الاسلام وبعده : ٣٥، ٣٦ .

(٧) ينظر : العين : ٥/ ٣٥٦ ، و معجم ديوان الأدب : ٢/ ١١٠ ، و تهذيب اللغة : ١٠ / ١١٠ .

(٨) فاطر : ١٨ .

(٩) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ١٩/ ٣٥٥ .

وقد ورددت في القرآن الكريم ألفاظ تدلّ على دناسة بعض الأشياء والدَّواب ، منها (الْخَمْرُ، وَالْمَيْسِرُ، وَالأَنصَابُ ، وَالأَزْلاَمُ ، و الميتَة ، و الدَّمُ ، ولَحْمَ الخنزير، وَالْمُنْخَنِقَةُ ، وَالْمَوْقُوذَةُ ، وَالْمُتَرَدِّيَةُ ، وَالنَّطِيحَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) ، وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

فالرّجس في كتب اللّغة هو اسم لكلِّ ما استُقذِر من عَمَل ، فبالغ الله في ذَمِّهِ ، وكلّ شيءٍ فيه قمار فهو من الميسر ، و(الأنصاب): ما كان ينصب من حجارة حول الكعبة في الجاهليَّة ، فيهل عليها ، ويذبح لغير الله تعالى[٢]، وما ترمي إليه الآية الكريمة إبلاغ مخاطبيها بأنّ الخمْرَ الَّتي تشربونها، والميسر الَّذي تَتَياسرُونه ، والأنصاب الَّتي تذبحون عندها ، والأزلام الَّتي تَسْتقسمونَ بها (رجسٌ) وإثمٌ ونتْنٌ ؛ لأنَّه من عمل الشَّيطان[٣]. وكذلك قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾[٤]؛ فالقرآن الكريم لم لم يجزْ تحريم لحم الخنزير إلّا لأنّهُ رجسٌ[٥]؛ فقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ)، أي: ما ذُكِرَ غير اسم الله تعالى ، وأمّا (الْمُنْخَنِقَةُ): فهي الّتي تُخنق فتموت ، فكان العرب من أهل الجاهليَّة يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها ، و أمّا(الْمَوْقُوذَةُ):

---

(١) المائدة : ٩٠ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة : ١٠/ ٣٠٦ ، و لسان العرب : ٥/ ٢٩٨ ، و تاج العروس : ١٤/ ٤٦٣ ، و القاموس الفقهي : ١/ ٣٥٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان في تأويل الفرآن : ٨/ ٦٥٦ ، والهداية إلى بلوغ النَّهاية : ٣/ ١٨٦٣ .

.

(٤) المائدة : ٣ ، البقرة : ١٧٣ ، النحل : ١١٥ .

(٥) ينظر : بُنى المقدَّس عند العرب قبل الإسلام وبعده : ١٣٦ .

فهي المقتولة بالخشب ، و(الْمُتَرَدِّيَةُ): هي الَّتي تتردّى من مكان عالٍ ، و(النَّطِيحَةُ): هي الّتي تنطحها أخرى فتموت ، وَ(مَا أَكَلَ السَّبُعُ): هو ما ذُبح على النُّصُبِ[١].

ومن الألفاظ الأخرى الدَّالة على المدنَّس المعنويّ أيضًا ألفاظ : (الفاحشة ، و المنكر، والفساد ، والقبح، والسّوء ، والفسق ، والزّنا)، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٢]؛ فالسَّوء في الآية المباركة (الرَّداءة ، والفساد ، والفحشاء) : هو كلُّ شيء جاوزَ حدَّه؛ فالزَّنى فاحشة ، وقيل: هي القبيح من القول والفعل ، أو سيء الخلق[٣]، و "السَّوء : الإثم ، وأصل السَّوء ما يسوء صاحبه ، وهو مصدر (ساء يسوء سوءًا ومساءةً) ،أي : أحْزَنه، والفحشاء : المعاصيّ من القول والفعل ، وقيل الزّنا"[٤].

ونخلص مِمَّا تقدَّم أنَّ مفهوم المدنَّس يُقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: الدّناسة المطلقة ، وتختص بإبليس (الشّيطان الرَّجيم) .

القسم الثَّاني: الدَّناسة الحسيّة ، وهي قليلة الذّكر في القرآن الكريم ، ومنها الغائط ، والبول ، واختُلف في لفظة (الخمر)، فمنهم من جعلها من الدَّناسة الحسيَّة ، ومنهم من جعلها من الدَّناسة المعنويَّة.

القسم الثالث: الدَّناسة المعنويَّة ، وهذا النَّوع يعتمد على أمرين، **الأول** : سياق الآية القرآنية ، والثَّاني: الألفاظ القرآنية المقاربة لمفهوم المدنَّس.

الخاتمة

---

(١) ينظر : معالم التَّنزيل في تفسير القرآن : ٢/ ٢٣٩ ، و الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل : ١/ ٦٠٣ .

(٢) البقرة : ١٦٩ .

(٣) ينظر : الصَّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة : ٣/ ١٠١٤ ، والمحكم والمحيط الأعظم : ٣/ ١١٤ ، ولسان العرب : ٧/ ٣٩٩ ، و تاج العروس : ١٧ / ٢٩٧ .

(٤) معالم التّنزيل في تفسير القرآن : ١/ ١٩٨ .

يتّضح من البحث أنَّ المقدَّس لا يكون من وضع ذاته دائمًا، بلْ يكون إمّا من قوةٍ غيبيّة إلهيّةٍ، أو من وضع الثَّقافة، وهذا ما يؤكّده (بول تليش) في كتابهِ (الدّين.. ماهو) ، قال: " الأشياءُ نفسها لا تملك أساس قداستها، إنّها ليست مقدّسة في ذاتها "؛ لذلك يمكن: القول إنَّ الدّين ليس العامل الأوحد في إنتاجه بل يشترك فيه عناصر شتّى، منها ما تكون نفسيّة، واجتماعيّة، وتاريخيّة، ومعرفيّة، وسياسيّة؛ فقد يُحرِّم الدّين أكل بعض اللحوم أو لبس بعض الثّياب، ويرغمهم على اعتقادات ليس لهاعلاقة بالدّين؛ لأنَّها علميَّة بحتة، وتنتقل هذه الممارسات من جيلٍ إلى جيلٍ، من دون التَّساؤل عن ماهيتها؛ لأنَّها نتاج الفعل الإيمانيّ والتّلقائيّ للأمّة. أما المدنس فقد يتجلى بالذات والزمان والمكان وبعض الأشياء ، وليس كل دنيوي مدنس كما ذهبت الأديان الغربية في ذلك ، بل الدنيوي ممكن أن يكون مقدسا أو مدنسا .

النتائج :

١- إنَّ القداسةَ المطلقة تختَّص بذات الخالق (سُبحانهُ وتَعَالى) ، وتتجلّى هذه القداسة في مخلوقاته تَعَالى، وهي قداسة نسبيّة واعتباريّة ، يُضفيها الشّخص أحيانًا على بعضِ الأشياء .

٢- إنَّ أوّلَ تجلٍّ في نظرِ الثّقافات الإسلاميّة للمقدّس الإلهيّ على أرضهِ هو (القرآن الكريم والكتب السّماوية الّتي سبقته) ، ثمّ تجلّى في بعضِ عباده من الأنبياء الأولياء ، والأوصياء ، وقد يتجلّى المقدّس في زمان أو مكان أو أشياء جماد ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك .

٣- مفهوم المدنَّس في اللّغة لا يبتعد كثيرًا عن مفهومهِ الاصطلاحيّ ، وهذا ما لمسناه في مجموعة من الألفاظ ، نحو (الرّجس ، و النَّجس ، و الخبث ، والشّرك ، الضّلالة ، و الفاحشة ، والزّنا ، والكفر ، والمعصيّة ، والطّمث) ، وينقسم المدنّس على دناسة مطلقة ، ودناسة حسيّة ، ودناسة معنويّة .

٤- تشعُّب المجالات المعرفيّة القرآنيّة الّتي احتضنت هذا المفهوم جعلت منهُ مفهومًا من الصعوبة الإحاطة به إحاطة تامة .

التوصيات :

١- تعد القداسة المطلقة هي قداسة الله سبحانه وتعالى .

٢- أن قداسة الذات البشرية هي قداسة اعتبارية .

٣- يتجلى المقدس في الذات والزمان والمكان .

٤- يعد الشيطان هو أساس المدنس .

٥- يتجلى المدنس في الزمان والمكان والذات .